



رافعة من زمن التوهج بسون



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almasasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

فخرى لريم

العدد (5278) السنة العشرون -
الخميس (6) تشرين الأول 2022

طارق الربيعي

مذكرات (أبو شنيور)

طارق الربيعي وريادته مع مسرح الدمى

جوزيف الفارس



انا لست صحفياً وانما فنان مسرحي بدأت حياتي ومسيرتي مع هذا الفن عبر سنين مضت كانت مليئة بالخبرة والتجارب والعطاء منحتها الى طلبتي وما زلت اضخ بما عندي ومن دون ملل وكلل، اما اجابتي عن كيفية انخراطي في الصحافة، هو الحنين للايام الماضية وصورها الجميلة التي عشتها في الوطن والتي ما زلت استانس باعادة ذكرياتي الجميلة واستمتع بها وانا طفل يعشق الجمال ويحب الفن ويستانس بسماع الموسيقى الشرقية وايقاعاتها التي تهز الابدان ولا سيما الموسيقى العراقية والمصرية، وكنت اتابع الافلام المصرية واعشق مشاهداتها واعيش مع احداث قصصها الجميلة ولا سيما الغرامية الرومانسية والتي كانت تجسدها شادية مع كمال الشناوي، وسامية جمال وفريد الاطرش، والافلام البوليسية والتي كان ابطالها محمود المليجي وفريد شوقي واستيفان روستي، وانا اعيش بين احلام الواقع الذي اعيشه واحلام الوهم الذي كانت تجسده هذه الافلام السينمائية المصرية، وانا في مسيرتي الصحفية هذه، استطعت تجسيد تلك الاحلام واسترجاعها عن طريق الصحافة. اما عن البرامج التلفزيونية والتي كانت تشدنا الى متابعة عروضها فهي كثيرة ومتنوعة منها الفنية والتنموية والعلمية والرياضية والفنية، فكانت برامج ركن الهواة والتي كان يعدها ويقدمها الفنان المرحوم كمال عاكف، وبرنامج العلم للجميع والذي كان يعده ويقدمه المرحوم كامل الدباغ، وبرنامج الرياضة في اسبوع والذي كان يعده ويقدمه المرحوم مؤيد البدري، وبرنامج عدسة الفن والذي كان يعده المرحوم خالد ناجي وتقدمه المذيعة الرائعة خيرية حبيب وبرامج الاطفال والذي كان يعده ويقدمه الراحل عمو زكي، وبرنامج صندوق السعادة والذي كان يعده ويقدمه الفنان المتألق فخري الزبيدي، وبرنامج قل ولا تقل للعلامة مصطفى جواد، وبرنامج قرقوز والذي كان من اعداد وتقديم الفنان طارق الربيعي والمرحوم انور حيران.

انن ماهو القره قوز وماذا تعني هذه التسمية ؟ قره قوز، معناها الاصلي بالتركي (العين السوداء) كانت عبارة عن عروض مسلية تعرض على الشباب من سن العاشرة والى حد الخامسة عشر من العمر، ولا سيما في ليالي رمضان المبارك وبعد الفطور مباشرة، هذه العروض اشتهرت بها مقاهي بغداد عبر التاريخ القديم، ومنها مقهى الغزالي وغيرها.

وقد ذكرت بعض المصادر الموثوقة عن مسرح الدمى بانها ليست حديثة العهد ((ان هذه الالعب قد وصفها العلامة (ابن خلكان) بحفلات مولد النبوي الشريف على عهد المظفر في اربيل قائلا: كان مظفر الدين يعقد لكل طبقة في قباب الزينة للاحتفال بهذا اليوم المبارك جوقا من الاغاني وجوقا من ارباب الخيال، وقد علمنا فيما بعد بانه خيال الظل والتي نسميها (قرقوز) وكما ان اهل بغداد القدماء يتذكرون الفنان (راشد افندي) وما كان يقدمه من العاب القرقوز وحكاياته. وعبر السنين الماضية من سنين مراحل حياتنا



البغدادية ولا سيما في طفولتنا كنا نتابع برامج الاطفال والتي كانت تشدنا بمضامينها التربوية والارشادية والتوجيهية واخص بالذكر برنامج قرقوز والذي كان يعده ويشتركان في تقديمه كل من المرحوم انور حيران (ابو زررور) والفنان الله يمنحه العمر الطويل طارق الربيعي (ابو شنيور) حيث يذكر الفنان طارق الربيعي عن كيفية لقائه بالمرحوم انور حيران قائلاً: كنا قد قدمنا على الاشتراك في برنامج ركن الهواة والذي كان يعده ويقدمه عدنان الربيعي في الستينيات من تلك الحقبة الزمنية ولجمال اصواتنا رشحنا ان نكون كورس غنائي في البرنامج، اما عن برنامج قرقوز يذكر الربيعي بان هذا البرنامج كان موجودا انذاك، وانا بالذات كنت معجب به وهائما في اجواء عمله، وكذلك اكتشفت ان زميلي المرحوم انور حيران واثناء تواجده في الاذاعة والتلفزيون انه يشاركني هذا الاعجاب فكاننا نتابع البرنامج عن كثب حيث في وقتها كان من تقديم واعداد الفنان عبد الستار عبد الرزاق والذي التحق في الخدمة العسكرية في الجيش، فاصبح مكانه شاعرا وهنا خدمتنا الفرصة لنحل مكانه وقمنا باعداده بأسلوب مغاير وتقديمه بدمية تختلف عما كان يقدمه الفنان عبد الستار عبد الرزاق وبصوتنا انا والمرحوم انور حيران، حيث كنت اتقن اللهجة الريفية المحببة ولهذا وفي اعتقاد الكثير من اصحاب الراي السديد انني وفقت في الاختيار فكانت شخصية ابو شنيور الشعبية والريفية شخصية تجسد في طرحها الارشادات الصحية والتوعية وبالتعاون مع شخصية ابو زررور المرحوم (انور حيران) والذي اشتهر في حينها بكلمته المحببة (ورور) حيث كنا نقدمها بالاساليب الفنية التمثيلية وبشكل كوميدي فيه شيئا من شفاافية الطرح وقد استقطبنا ومن خلال عروضنا المشوقة اعجاب المتلقين من الصغار والكبار.

يذكر الفنان الربيعي قائلاً:
لقد بدانا مشوارنا في هذا البرنامج التلفزيوني

قرقوز في سنة ١٩٥٦ مع المرحوم انور حيران وحتى رحيله في سنة ٢٠٠٠ حيث اشهد عليه مرض السكري ورحل بعد ان ترك برحيله فراغاً لم يستطع املائه اي فنان اخر، كان يتخلل تقديمنا للبرنامج اغاني توجيهية وتربوية ونقدية نصيغ كلماتها على شكل منولوجات كوميدية ونقدية وشعبية والحنان فلكلورية وتراثية من مختلف الاغاني الشعبية.

ويضيف الفنان طارق الربيعي قائلاً:
كنا نقدم هذا البرنامج على الهواء مباشرة اي بث حي، ومن احدى الطرائف والتي كانت ان توقعنا في ورطة لو لم استدرك الموقف حينما وقع الراديو والموجود على الرف فوق احدى المذيعات والتي لم تكن من ضمن الكادر المرئي للجمهور باستثناء الراديو حينها استدركت الموقف وقلت لابو زررور (عيوني ابو زررور كاف تجذب ترى من جذبك حتى الراديو وكع على روسنا) وهكذا استدركت الموقف وانقذت المشهد، كنا نجسد في تمثيلنا اربع خمس شخصيات وبدمي مختلفة الاشكال وكل منها بزيتها الشعبي منها ام زررور وام شنيور وجميع هذه الاصوات كنا نقدمها بصوتنا ان والمرحوم انور حيران حيث كان صوته متطابقا مع تجسيد اصوات النساء ويجيد تكييفه وفق شخصية كل منهن ومايلائهن من التجسيد ان كانت امراة شعبية او ريفية وغير ذلك عالم الدمى وتجربة الفنان طارق الربيعي، عالم الدمى عالم واسع وشاق يخضع لحرفية وصناعة دقيقة تشترك فيها الفنون التشكيلية وتصميم الازياء وفنون النحت، جميع هذه الفنون تشترك فيما بعضها لتنتج دمي مختلفة الاشكال وبموجب ماتقتضيه الحاجة لاستعمالها، ويذكر الربيعي ان الدمى هي على انواع منها القفازية والدمى المحمولة والسلكية وخيال الظل، ولهذا ثقافته لم تاتي الا من خلال تحصيله الشهادة التي حصل عليها من دورة اشترك فيها مع الفنان المرحوم انور حيران من مصر العربية في مسرح الماريونيت،

وبعد عودتهما الى الوطن ترجموا ماتعلموه في تنظيم دورة في اكااديمية الفنون الجميلة وعن طريق ثقافة الاطفال تم من خلالها اشراك بعض الهواة من الطلبة ممن لهم الرغبة في تعلم حرفية هذا الفن حيث شارك مايقارب نحوى الثلاثين من كلا الجنسين، الا ان التجربة لم يكتب لها النجاح لعدة اسباب منها عدم توفر الكاتب المتخصص لكتابة النصوص المسرحية والتي تخضع لثقافة تخصصية تتناسب مع المستوى العلمي والثقافي للطفل ومراعين في ذلك علم النفس والاختصاص التربوي الصحيح واضافة الى ذلك عدم توفر المسرح المخصص لمسرح العرائس والدمى وكذلك هذه الحرفة الفنية تحتاج الى صناعة متفرغة من كادر متخصص في الفنون التشكيلية وتصميم الازياء والاكسسوارات المختلفة، اضافة الى كل هذا ان محاوره الطفل تحتاج الى كاتب متخصص بالكتابة لكون هذه المحاوره فيها خصوصية فريدة من حيث دراسة الوضع الاجتماعي والثقافي والنفسي.

لقد سألنا الفنان طارق الربيعي وعن طريق التواصل الاجتماعي، كيف يتسنى لنا لنا فتح دورة متخصصة واعادة هذه التجربة من اجل خلق حركة متطورة لمسرح الدمى؟ فاجاب قائلاً:
ان هذه العملية تحتاج الى كادر متخصص له خلفية في فن التمثيل اضافة انه يجب العمل في مسرح الدمى، وكذلك هذه العملية تحتاج الى الدعم العنوي والمادي، لقد حاولوا جلب خبيرين جيكيين لتعليم فن الدمى وصرفت لهم رواتب باهضة بالعملة الصعبة الا انها اعتذرا عن مواصلة مهمتهما بعد اطلاعهما على تجربتنا في مسرح الدمى—

واخيرا وفي نهاية حديثنا مع الفنان طارق الربيعي قدمنا له تحياتنا واعجابنا بتجربته الرائدة في مسرح الدمى متمنين له دوام الصحة وان تبقى تجربته وريادته في مسرح الدمى نبراسا وتجربة تدرس لطبقتنا في المعاهد الفنية في العراق.

رثاء.. و إحتفاء، بكته الدمى قبل فنانيها

د. حسين علي هارف



يوم رحيله.. بكته الدمى (تلك التي صنعها او لم يصنعها.. قام بتحريكها او لم يقم.. شهدها او لم يشهدها) بكته بكل جوارحها (خيوطها) و من كل قلوبها (فهي تملك قلوبا تنبض بحب خالقها و محركها و بسحر انامله).. بكته الفرقوزات المضحكة.. و يوم وفاته.. اعلنت مدينة الدمى الحداد! هكذا اتخيل.. و اقاموا له ماتما لم يُدعى اليه أي منا نحن البشر الذين قد نجحد فضله و تنناسى ريادته و عطاءه و عشقه للدمى التي افنى عمره فيها و معها و من اجلها.. فهل نحن جاحدون؟ هل سنفي هذا الرجل (الانسان) حقه؟! هل سنكون اوفياء كما كان هو و فيا لدماه و فنه و من قبلهما لوطنه و اطفال وطنه..



هل سنكون على قدر من الوفاء لنثبت حقيقة ريادته المزدوجة و المركبة و في ميادين (فنية و اعلامية)؟ علينا ان نكون كذلك.. علينا ان نحاول و نسعى و ها أنا أفعل ذلك.. ان أسعى لتدوين و توثيق بعضاً من سيرته الريادية الابداعية الحافلة بالفرح و الجمال و النجاح و المكتزبة بالصدق و الشعور العالي بمسؤولية الفنان تجاه وطنه و شعبه و الايمان العالي برسالة الفن الانسانية و الوطنية.. و لعلي مع زملائي و اصداقائي و طلبتي قد فعلت قبل رحيله بسنوات قليلة.. حين أقيمت و بالتنسيق مع المنتدى الاذاعي و التلفزيوني في اتحاد الابداء و الكتاب في العراق و بالتعاون معه، حفل إحتفاء و تكريم طاروق الربيعي بحضوره و حضور نخبة من الابداء و الفنانين.. كان ذلك في حيث شهدت قاعة الجوهرى هذا الإحتفاء الذي كان الراحل غاية في السعادة به انفرجت أساريره و اطلق ضحكاته و طرائفه.. مازح الجميع.. غنى و روى.. كان عريسا في ليلة عرسه.. كنت على ثقة.. يومها.. انه سيعود سعيدا الى بيته.. لكنني كنت على دراية بأنني كنت الأسعد فالوفاء نعمة و قيمة انسانية عليا لن يدركها الجاحدون و ناكرو الجميل..

ريادات لا قيادة واحدة

الريادة قيادة و رئاسة، و هي من الخصائص و الصفات التي تتمتع بها شخصية ما في تحفيز آخرين نحو تحقيق اهداف في مجال او عمل ما و يكون أيضا مصدر إلهام لهم.. و اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الريادة هي فعل تأسيسي نوعي يضع اللبنة الاولى في تشييد و تكريس ظاهرة او اتجاه او حفل معرفي او ابداعي ما، و يعيد الطريق لخطوات نوعية مماثلة تعقبه، فان من الأنصاف أن نضع فنان الدمى طارق الربيعي (ابو شننور) في خانة الرواد. و رغم ان هذا



ان ذلك لا يقلل بالمرّة من الجهود الكبيرة التي بذلها الفنان انور حيران بوصفه شريكا ابداعيا للربيعي، غير اننا نرى ان الربيعي كان يلعب في هذا الفريق (الثنائي) دور القائد و المنظم و صاحب المبادرة.. و كانت تسعفه للعب هذا الدور خصائص شخصية منها نكاؤه و فطنته و مرونته و سعيه لبناء علاقات فنية و شخصية، فضلا عن سرعة تعلمه و تطوره.. و رغم ان انور حيران يكبر زميله الربيعي بعامين (فهو من مواليد 1935) الا انه كان تقيد كثيرا بشخصية الفرقوز و قد كان يميل الى الطابع الكوميدي مع اتقانه لمهارة التمثيل الصامت، و لم يسعفه وضعه الصحي لمواصلة المسيرة مع رفيق دربه و صديق عمره طارق الربيعي الذي أحس بفراغ كبير بعد رحيله.

ويوما ما.. و تحديدا في 11-11-2018.. و بعد نهاية عرض (بغدة) الذي كتبه المبدع رحيم العراقي و قمت بأخراجه و تم تقديمه في مسرح جامعة بغداد بالجادرية (قاعة الحكيم) بمناسبة يوم بغداد الذي أحيته امانة بغداد كعادتها في كل عام... و بعد ان قدام الممثلون بتحية الجمهور.. جاء دوري للتحية بوصفي مخرجا للعرض.. حيث حيا الجمهور سريعا ثم هرعته بخفة الى المشاركين في العرض)، فاصطحبته الى مقدمة المسرح و طلبت من الجمهور بحماس ان يصفقوا له و يحيوه بشكل خاص بعد ان طبعت على جبينه بعد ان قدمت له باقة الورد المقدمة لي قبل لحظات.. ثم طلبت ميكروفونا.. و ما ان امسكت بالميكروفون حتى خطبت بالجمهور الحاشد و كان من بينهم نواب و مسؤولين حكوميين رقيعي المستوى (مدنيين و عسكريين) الى جانب امانة بغداد - في حينها- الدكتور ذكري علوش، و بحضور عدد كبير من وسائل الاعلام و مراسلي الفضائيات الحكومية و غير الحكومية.. قلت: (اخوان.. أخوان.. انا أسف.. عذرا لذي كلمة.. هذا العمل هو مهدي الى بغداد.. و لكن اليوم إسمحوا لي انا اريد اليوم ان أذكر بغداد.. مؤسسات بغداد و المؤسسات الحكومية كافة بفناننا الراحل طارق الربيعي.. كان أحد رواد تأسيس تلفزيون العراق عام 1956، و أسس أول قسم لبرامج الاطفال في العراق، و اجدانا و أبائنا يتذكرون شخصية (ابو شننور) و مفارقاته و مقالبه مع الفرقوز، و الدمى التي تم استخدامها في هذا العرض الذي شاهدتموه من قبل فناننا طارق الربيعي هي نفسها التي كان يستخدمها قبل عقود.. الفنان طارق الربيعي منسي من قبل الوزارات او الحكومات و انا أسف ان اقول المتعاقبة! لنحتفي بفنانينا ولاسيما الرواد منهم.. تحية للفنان طارق الربيعي.. بعد هذا الخطاب الارتجالي صفق الجمهور كثيرا للراحل طارق الربيعي الذي طبعت أنا قبله اخرى على جبينه بعد أن احنيت قامتي له احتراماً و إجلالاً.

كتابي عنه

انه كتاب الوفاء في زمن نقشي الجحود و تراجع لغة الوفاء و الناطقين بها.. هذا الكتاب هو شهادة اعتراف بريادة طارق الربيعي لمسرح الدمى عراقياً فضلاً عن ريادات اخرى في مجال التلفزيون و برامج الاطفال.. لعل هذا الكتاب سيكون إنصافاً - و إن جاء متأخراً- لجهود هذا الفنان الذي عانى ما عاناه من الإهمال و عدم التقدير لجهوده الريادية في برامج الاطفال و مسرح الدمى.



قسم برامج الاطفال في تلفزيون بغداد الى جانب تأسيسه لأول قسم للدمى في التلفزيون.. - هو من اوائل المساهمين و بفاعلية في تسجيل و تصوير اول اغاني تلفزيونية للاطفال.. و من بينها تلك الاغاني التي غنتها الطفلة الهام احمد التي كانت ضمن طلبة طارق الربيعي المتدربين على فن الدمى.. و من بين تلك الاغاني اغنية (شدة يا ورد شدة) و اغنية (هيلا يا رمانة.. هيلا يمة.. من هيئة الزعلائنة) و اغاني عديدة اشرف عليها و قام بتلحينها الفنان الموسيقي حسين قدوري.. و قد لعب الربيعي دورا مهما و فاعلا في تعزيز الجانب الفني لهذه الاغاني بالاستعانة بالدمى التي كان قد جلبها من القاهرة و دمى اخرى ذات فم متحرك كان قد جلبها من (ستوكهولم) اثناء زيارته للسويد.. و بالعودة الى موضوع الريادة التي نرى احقية الفنان طارق الربيعي بها، نرى

التعريف سالف الذكر، يستبعد المفهوم السطحي و الشكلية للريادة و الذي يرتبط تحديدا بالسبق الزمني حسب، الا اننا و وفقا للمفهوم نجد انفسنا امام حقيقة ان طارق الربيعي هو رائد مسرح الدمى في العراق بالتشارك مع زميله و شريكه الفنان انور حيران.. مع ضرورة الإشارة الى تميز جهود الربيعي عن زميله من ناحية الاثر الفني و حجم المنجز و تعدد المهارات الفنية لدى الربيعي من حيث الكتابة و الغناء و التلحين (رغم بساطته) الى جانب موهبة التمثيل التي تفرّد بها عن زميله و تميز.. كان الربيعي يكتب اغاني البرامج الفكاهية، كان يلحن و يغني، كان يُساهم في الاعداد، كان يقدم البرامج، كان يحيي الحفلات، تجده مديعا محاورا.. عريف حفل.. مونولوجست.. و كان يمثل بفطرتة و تلقائيته رغم عدم دراسته لفن التمثيل.. و قد إستثمر المخرجون في التلفزيون و السينما و المسرح موهبته التمثيلية و لاسيما اجادته للادوار ذات الطابع الريفي نتيجة تقمصه الشديد لشخصية ابو شننور الرجل الريفي و الى جانب ذلك، فقد تعدت جهود طارق الربيعي الى مبادرات و مساعي اخرى حققت من خلالها ريادات اخرى منها السعي لتأسيس اول قسم للدمى و من قبله لبرامج الاطفال في تلفزيون العراق.. و مع الاعتراف بشراكة الفنان الراحل انور حيران مع طارق الربيعي في ريادة مسرح الدمى في العراق، لابد من تثبيت احقية الريادة (الزمنية و النوعية) لطاروق الربيعي في مجالات متعددة.. ان فننا امام ريادات متعددة لا ريادة واحدة للعوامل الاتية: - الربيعي هو من اوائل من عمل في تلفزيون بغداد في عام تأسيسه - هو من أسس أول مسرح دمى خيطية (ماريونيت) في العراق - أسس مع زميله انور حيران بعد عودتهما من مصر اول فرقة مسرح دمى في العراق (مسرح بغداد للعرائس) - من مؤسسي

من تاريخ فن الدمى في العراق

د. فاضل خليل



لم يتعرف العراق على الدمى إلا في عام ١٩٥٤م. بعد زيارة فرقة مدينة الألعاب المصرية الى بغداد (٢٢) وقامت بتقديم بعض ألعابها التي استهوت بعض من هواة هذا النوع من فن تحريك الدمى، وكانت من نوع الدمى القفازية، فكان ثلاثة منهم وهم: (عبد الستار عبد الرزاق) الذي رافقهم وتعرف عن كُتب على هذا الفن ليمارسه فيما بعد في برنامج تلفزيوني أطلق عليه اسم (قره قوز) الذي كان يقدم حيا وعلى الهواء مباشرة، وقد استمر قرابة العام، كان يساعده شخص يدعى (فكري بشير) تربيته هو. زامن هذا البرنامج قيام برنامج إذاعي يحمل نفس التسمية (قره قوز) (٢٣) قدمه الفنان (أنور حيران وطارق الربيعي)، اللذان انتقلا فيما بعد إلى التلفزيون عندما ترك (عبد الستار العزاوي) العمل في التلفزيون، ثم توسع عملهما ليشمل نشاطهما في المدارس فقدموا أول عرض لهما في الإعدادية الشرقية ببغداد عام ١٩٥٦م أطلقا عليه أسم (رحلة إلى قمر)، ومنه انتقلا إلى مدارس أخرى. أما أهم شخصيات الدمى البشرية التي قدمها فكانت: (قره قوز - أبو شنيور - الفلاح الريفي - زهوري.. وغيرها) إلى جانب الدمى التي كانت تمثل مجموعة من الحيوانات، استمر عملهما حتى عام ١٩٦٧م، سافرا بعدها في دورة تدريبية في فن الدمى وتحريكها إلى مصر.

إن العراق لم يهتم بهذا الواقع ولم يؤرخ له قبل، مرحلة الخمسينات، فقد شهدت الخمسينات ألعاب (خيال الظل) التي كانت تقدم في (مقهى عزايوي) في ليالي شهر رمضان، حيث اشتهر شخص يدعى (رشيد أفندي) بتقديم ألعاب خيال الظل للصبيان الذين تتراوح أعمارهم من (١٠ إلى ١٥ سنة) (٢٤). أما في الفترة ما بين الأعوام ١٩٥٦ - ١٩٦٨م نشاطا في عمل وصناعة الدمى في العراق لتطور فن الرسوم المتحركة وخاصة ما بعد ثورة تموز ١٩٥٨م التي شهدت زيارة العديد من فرق الدمى لدول عديدة مثل الصين، تشيكوسلوفاكيا، بولونيا، الهند، ألمانيا، وبلغاريا، لفرق شهيرة و متميزة مثل فرقة (الثنائي الألباني) الذين تنوعت عروضهم واستخداماتهم لأنواع الدمى من (قفازية، صولجانيه، ماريونيت)، وبالرغم من أن تأسيس تلفزيون بغداد كان في عام ١٩٥٦م، لكن اهتمامه ببرامج الأطفال جاء في مقدمة اهتمامه، بمبادرات شخصية من المخرجين والعاملين في التلفزيون آنذاك (٢٥). وحين أدركت إدارة التلفزيون هذا الاهتمام عملت على استقطاب عناصر ذات كفاءة بعمل وصناعة الدمى وعلى تحريكها أيضا أمثال (عامر مزهر، وسامي الربيعي) هذا الثنائي الذي قام بصناعة فلم (الخزاف) وهو أول فلم بالدمى المتحركة وبطريقة (الكادر - كادر Singe Frame)، كما قاما بتنفيذ فلم (الطيارة الورقية) بواسطة القصاصات الورقية على طريقة (خيال الظل).

في هذه الأثناء عاد الثنائي (أنور حيران وطارق الربيعي) من القاهرة بعد زيارة لمسرح العرائس في دورة تدريبية اطعلا خلالها على عملية صنع الدمى (Marionette Puppets) وتحريكها على يد (الفريد ميخائيل (٢٦) وصلاح السقا (٢٧))، كما شاهدهما العديد من عروض الدمى المختلفة، فاستحدثا برنامجا جديدا باسم (مسرح العرائس) إضافة إلى برنامجهما الذي كانا يقدمانه قبل سفرهما (قره قوز) وذلك عام ١٩٦٩م. كما كانا قد شكلا فيما بعد فرقة للعرائس المسرحية أطلقا عليها اسم (مسرح بغداد للعرائس) التي كانا يتجولان بعروضها بين

التعاون الفني المشترك في إنتاج أفلام الكرتون مع ألمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا. وقد نصت خطتنا التعاون على تزويد المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون بمواد برامج الأطفال، وتدريب الكوادر العراقية في مختلف مجالات العمل التلفزيوني، والتعاون في إنتاج برامج مشتركة (٣٧). كان من ثمراتها إنتاج فلم الرسوم المتحركة الطويل [الأميرة والنهر]، وإرسال عدد من الخبراء إلى العراق، إضافة إلى المشاركة في المهرجانات الدولية، ومنها مهرجان برامج الأطفال والشباب في (براتيسلافا) (٣٨). امتازت هذه الفترة بالمواضيع التراثية مثل أفلام (الماجنية) (٣٩) التي نفذت بطريقة الدمى القفازية، (المغزل) (٤٠) الذي نفذ بالقصاصات الورقية عام ١٩٧٨م. كتبت السيناريو لها وأخرجتها [فاتسلاف برودوف] أما الجهة التي قامت على تنفيذها فهي شعبة الدمى في تلفزيون بغداد. ونتيجة للمشاركات المستمرة للعراق في المهرجانات الدولية والعربية، ولضغوطات التصدير للأفلام المنتجة إلى الدول الأخرى ابعث قليلا تلك الأفلام من محيطها وقلل من استخدامها للجهة المحلية ضيقة الفهم التي استبدلتها باللغة العربية الفصحى [والدبلجة]. وهكذا كان لدخول الخبرة الأجنبية دورها الإيجابي المساعد في اعتماد الدقة في استخدامات الديكور والإضاءة والملابس وبقيّة عناصر إنتاج الأعمال الفنية. وفي تصنيع كافة المستلزمات المطلوبة لذلك، ومنها الدقة في تصنيع الدمى المحلية في أشكالها وألوانها وحجومها والمواد التي تدخل في صناعتها. إن اضمح سنة إنتاج على المستوى العربي زامن مع السنة الدولية للطفل بإنتاج البرنامج التعليمي النوع (افتح يا سمسم Mobbite Show) الذي برز من خلاله خط جديد في نشاط عمل الدمى، كان في تصوير الأغاني التراثية بالدمى القفازية والوصولانية ذات الأسلاك. من هذه الأغاني (هيدا يا رمانة)، (كشك وعديس)، (بلي يا بلبل)، (يا زكريا)، (هيدو)، (يا كمرنا لا تغيب)، (الله مصبحكم بالخير)، (شدة يا ورد)، (اشكرو يا شبيب)، (يا يمّة إنطيني خريزة)، (يا حوتة يا منحوتة)، (طلعت الشميسة على قبر عيشة)، (يا خشبية نودي نودي) وغيرها. كما تم تنفيذ مسلسل (سفينة الحكايات) عام ١٩٨١م وهو إنتاج عراقي - سوري مشترك. ومسلسل (علي بابا) عام ١٩٨١م كتبهما الكاتب المغربي محمد السملاوي، ومثل شخصية [الراوي] الممثل سامي قفطان. ومن الأفلام التي أنتجتها شعبة الدمى: الفيلم الملون ١٦م (الأخوات الثلاثة) وكان من إخراج: فلاح زكي، وفيلم (الجسر الجديد) لعزى الوهاب، وفيلم (الفأر الرسام) وفيلم (الكلب والأرنب)، وأفلام أخرى.

الرسوم الثابتة، واستحدثوا كذلك برنامجا أسبوعيا هو (عائلة فاهم) (٣٤) الذي اعتمد هو الآخر على الدمى المتمثلة بأربعة شخصيات رئيسية ثابتة هي (فاهم) وأخته (سوسن) و(الأب) و(الأم)، تشاركهم دمي ثانوية مثل (العم، الخال العمّة، الخالة، الجار، البائع، وغيرها حسب مقتضيات الحاجة لموضوع كل الحلقة. ومن الأساليب التي كانت قريبة من عمل الدمى هو ارتداء الممثلين ملابس تمثل أشكال الحيوان تغطي كامل جسم الممثل من الرأس حتى أسفل القدم، كما في مسلسل (حكاية للأطفال) الذي قدمه جاسم الصافي في العام ١٩٧٠ بثلاثين حلقة، وكان من إخراج سمير الصائغ. كانت موضوعات هذا المسلسل المقتبسة من حكايات (كلية ودمنة)، ومن مختارات (قصص الأدب العالمي). وقسم آخر منها كتب خصيصا للبرنامج بتأليف محلي لحكايات محلية شعبية تستهوي الأطفال لأنها مقتبسة من الموروثات العراقية والعربية المعروفة والشائعة. وشهد العام ١٩٧٦م النقلة النوعية في عمل الدمى وبرامج الأطفال في العراق، الذي كان بداية البث الملون في التلفزيون العراقي. حيث تم استحداث (شعبة الدمى والرسوم المتحركة) في مبنى التلفزيون وفيه كان تنفيذ مقترح الدمى التي تصاحب المقدم أو المغني فيها. هذه الحركة أدت إلى تقديم (١٣) تطور البرامج التلفزيونية، وما أعقبها من أفلام دمي أكثر تطورا من سابقتها مثل (الطيرون الصغار) و(الأسد والفار) و(التنين) وغيرها. وبمرور الأيام استعان التلفزيون بالخبرات الأجنبية، حيث أقامت شعبة الدمى والرسوم المتحركة في تلفزيون بغداد دورات تدريبية لسنة عشر فنانا بإشراف (بارو ميرابرودوفا) و(فاتسلاف بولاك) وهما من تشيكوسلوفاكيا (٣٥) في معهد التدريب الإذاعي والتلفزيوني الذي استمر يستعين بالخبرات العربية والأجنبية. ومن خلال اهتمامه المستمر شكلت شعبة خاصة لرسوم وتصميم الدمى من مجموعة من الرسامين والنحاتين المعروفين في العراق أمثال (محمد تعبان و عامر مزهر) وغيرهم، كما وتم استضافة الرسام المصري (صلاح الليثي) الذي صمم ونفذ دمي مسلسل (القطار الأخير) عام ١٩٧٨م. هذا الاهتمام والتواصل كان عاملا مساعدا في تطور عمل الدمى والرسوم المتحركة في العراق.

رياض الأطفال والمدارس والفنادق ومدينة الألعاب في أغلب مدن العراق. وفي نفس العام ١٩٦٩م استقدم (تلفزيون بغداد) أحد مخرجي مسرح الأطفال والعرائس من المسرح القومي المصري وهو (إبراهيم سالم) من أجل إعداد فقرات متنوعة للعرائس في العراق (٢٨)، الذي استعان من أجل إنجاز عمله بمحركي دمي عراقيين من الذين مرّ ذكر البعض منهم في سياق حديثنا، فكانوا نواة لتأسيس قسم خاص ببرامج الأطفال في (مصلحة السينما والمسرح) (٢٩) التابعة إلى وزارة الثقافة والأعلام فاستعانت بنفس المجموعة التي كانت تعمل في التلفزيون وعلى المسارح. كما كان للخبرة السينمائية دورها الهام على مستوى تنفيذ وعمل الدمى في السينما وما يتطلب ذلك من الدقة في الحركة ومن متطلبات الشروط الفنية العالية. فقدموا الفلمين (القطعة بوسي) و(الأرنب الذكي)، وكانا من إخراج: كاظم العطري وفيلم (حياة سعيدة) الذي كان من إخراج: عبد السلام الأعظمي. بعد هذا الفلم توقف العمل في أفلام الأطفال لتبدأ بعدها مرحلة جديدة تبناها تلفزيون بغداد الذي بدأ بتقديم برنامج نصف شهري باسم (عرائس بغداد)، قدمه الثنائي (أنور حيران وطارق الربيعي) أيضا، الذي لم يستمر طويلا فتوقف لأسباب فنية أهمها صعوبة التنفيذ السريع للدمى وغياب المؤلف الذي يقدم الحكايات المناسبة للبرنامج. وظل الحال بين مد وجزر، بين تأسيس وانقطاع، حتى صدرت التوصيات التي خرجت بها (الحلقة الدراسية العربية - في بيروت) والتي نصت "أن يراعي المرءون والكتاب والفنانون أطوار النمو بالرجوع إلى الدراسات النفسية والتربوية" (٣٠). ولكي تتم المباشرة في العمل، تم افتتاح دورة تدريبية لبرامج الأطفال في معهد التدريب الإذاعي والتلفزيوني ببغداد (٣١)، استهدفت تثقيف وتوعية الكادر الذي يشرف على برامج الأطفال في وسائل الثقافة والإعلام لتأخذ العملية جانبها الترفيهي والتربوي البناء. مما أعطى لتلك البرامج تطورا واضحا أهمه إدخال الدمى ولأول مرة كعنصر مشارك مع مقدمي البرامج وخلال تقديمهم فقرات برامجهم الموجهة للأطفال. فكان برنامج (الشاطر) (٣٢) الذي يضم دميته (الشاطر) حركها وتكلم لها (أنور حيران) ودمية (بسمة) حركها وتكلم لها (أنور حيران). اعتمد البرنامج على حوار كان يجري بين مقدمة البرنامج [هدى عبد الحميد] والدميتين. وفي عام ١٩٧٤م تم استحداث برنامج جديد باسم (قصص وحكايات) (٣٣)، كان قد اعتمد أيضا على دميته هما (البغاء) و(السدب) كانتا تتواليان على تقديمه بالتناوب. أما حكاياته فكانت تقدم بطريقة

طارق الربيعي

رائداً لأول عرض دمي مسرحي موجّه للكبار

د. زينب عبد الامير



كلنا يعلم من الذين عاصروا المشهد الفني والثقافي للنصف الثاني من القرن العشرين، ما قدّمه الثنائي الراحل طارق الربيعي وانور حيران للتلفزيون والمسرح في مجال فنون الدمى من برامج وعروض مسرحية استقطبت الأطفال والكبار على مدى خمسين عاماً بدءاً من تأسيس تلفزيون العراق عام ١٩٥٦، تاريخ طويل حافل بالمنجز الفني يستحق منا كل الثناء والتقدير، وبقي ما قدّمه الثنائي من فن راسخاً في وجدان وذاكرة المشهد الثقافي والفني، بل كان ممهداً وملهماً لما لحقه من تجارب فنية في حقل فنون الدمى، إلا أن البعض وصف هذه التجارب المهمة أنها تجارب بسيطة مارسها هواة باجتهادات شخصية متعثرة، وهنا لا بد لي أن أقف وأعرج على ما قيل وما زال يقال حتى يومنا هذا ...

ان كان البرنامج التلفزيوني المشهور (القرة قوز) الذي كان يقدمه ويعد فقراته ويصنع دماه ويحركها الثنائي، هو تجربة بسيطة وعابرة، فلما استمر عرضه إذا ما يقارب الخمسين عاماً؟! ما نال الثنائي (الربيعي وحيران) استحسان الأطفال والكبار معاً آنذاك من خلال ما قدّمه من مسرح وتلفزيون؟! نعلم ان التخصص عبر الدراسة مهم وأنا من انصاره ولكن المهارة والتخصص عبر التدريب المستمر فضلاً عن الموهبة اهم، فكل من الربيعي وحيران يمتلكان من المهارة والموهبة التي افقدها ويفتقدتها الان الكثير من الذين يطلقون على انفسهم فنانين مختصين!! ان نرى الفنان طارق الربيعي كان يمتلكاً موهبة الغناء وتقليد الاصوات ومهارة تحريك الدمى وصناعتها فضلاً عن موهبته ومهارته في الاعداد والتأليف ومنجزه يشهد له بذلك، كما ان انور حيران كان يمتلك مهارة صناعة الدمى وتحريكها فضلاً عن موهبته الابدانية في تقليد طبقة صوت الارجوز المصري دون الاستعانة بالاداة التي يطلق عليها (الزماره) وشهد له بذلك الفنان طارق الربيعي والفنان المصري محمود شوكو من خلال العديد من اللقاعات التي جمعتهم داخل العراق وخارجه في جمهورية مصر العربية.

وفضلاً عن ذلك كله لم يكن لهذا الثنائي من داعم حقيقي، ولم يكن قبله ممن يمتلكون الخبرة في مجال فنون الدمى على مستوى التصميم والتنفيذ والتحريك والتقنيات الاخرى كي يستفيد من خبرتهم، ومع ذلك استمر الثنائي يؤسس لمسارات فنية اقل ما يقال عنها انها رائدة كونها سابقة لزمانها في العراق وأعني هذه الجملة!!

كما اتسائل ووجه لوماً كبيراً لكل من قلل ويقلل من قيمة ما قدّمه الثنائي من منجز فني على مدار عشرات العقود، لماذا لا نفضّر بمبدعينا من الفنانين الفطريين عبر التاريخ اسوة بأشقائنا العرب؟ فنجدهم الفنان المسرحي المصري الدكتور نبيل بهجت احتفى وبخبر شيخ لاعبي الأراجوز صابر المصري المشهور ب(عم صابر) بوصفه عضواً مؤسساً من اعضاء فرقته المسرحية (فرقة ومضة لخيال الظل والارجوز المصري) فضلاً عن التكريسات التي نالها مع صابر سواء من الهيئة العربية للمسرح عام ٢٠١٥م، ومن الشيخ

سلطان القاسمي حاكم الشارقة عام ٢٠١٦م وغيرها من التكريسات، والسرف في ذلك هو محبة واحترام وتقدير الجمهور المصري من النخبة والعامّة لفنون عم صابر وعشق الأطفال له، وكذلك نمر على تجربة الفنان المسرحي مؤسس فرقة (مسرح صندوق العجب) في فلسطين، الفنان (عادل الترتير) الذي استمرت مسيرته الفنية في العطاء لأكثر من خمسين عاماً، ويشهد له الكثير لما قدّمه من فن هادف عبر صندوقه العجب (صندوق العجب) وهو مسرح متجول ليس له عنوان ويعيش بين الناس وبخاصة الفقراء، وغيرهم كثير من الفنانين الذين وهبوا حياتهم للفن بإخلاص بل ان اغلبهم ومنهم الفنان الراحل طارق الربيعي كانوا ينفقون على اعمالهم من جيبهم الخاص حرصاً منهم على تقديم كل ما هو مبهج وقيم.

ولكي لا ابتعد كثيراً عن فحوى ثريا النص بعد الفنان الراحل طارق الربيعي رائداً لأول عمل دمي مسرحي موجّه للكبار، فسأستعرض في بادئ الامر بعض معاني مفردة الريادة في معاجم اللغة، منها انها عملية انشاء شيء فريد له قيمة، والرائد هو كشاف، اول من ينطلق في مشروع ويقترح ميدان عمل، من يشق طريق التقدم ويمهد السبيل للآخرين... ولو اسقطنا هذه المعاني على اهم او مجمل ما استلظت ان احصل عليه من معلومات قمت بتسجيلها للفنان طارق الربيعي ووثائق تاريخية ورقية وصور عبر زيارتي المستمرة له قبل تردي وضعه الصحي، وما حصلت عليه من الذين عاصروه، لوجدنا ان كلا من الربيعي وحيران كانا رائدين في فنون الدمى على مستوى التلفزيون والمسرح، كما ان ما جادت به علي دار الوثائق الوطنية من ارشيف ورقي وثق الكثير من الاحداث والوقائع التي نحن بأمس الحاجة اليها الان حفاظاً على مصداقية التاريخ!! كان لها الفضل الكبير في تقصي الحقائق بهذا الشأن!! لاسيما في عصرنا الراهن الذي يشهد من يزيفون الحقائق وينسبون لانفسهم او لغيرهم ريادة فن او عمل ما!! في ظل ضياع الجزء الكبير من الارشيف في المؤسسات

والدوائر المعنية بالشأن الثقافي والفني. كانت بدايات انطلاق رائد فنون الدمى في العراق الفنان الراحل طارق الربيعي من برنامج القرة قوز وهو برنامج تلفزيوني كما نعلم استمر عليه بما امتلکه من موهبة وولع بهذا الفن منذ عام ١٩٥٦م، وفي عام ١٩٦٧م قرر الثنائي الذهاب الى القاهرة ليطور ويصقل موهبته في صناعة الدمى وتحريكها، فضلاً عن تطوير خبرته في كل ما يتعلق بهذا الفن، وفعلاً استطاع الثنائي من تحقيق حلمه بالذهاب الى مسرح القاهرة للتراث في الازبكية و اجراء معايشة فيه لثلاثة اشهر، إذ تلمذ هناك على يد الفنان المصري الراحل (صلاح السقا) من خلال اوبريت (الليلة الكبيرة) على المسرح الدائري، كما زار الثنائي معهد التلفزيون العربي وتدرّب فيه على صناعة دمى الماريونيت على يد الفنان المصري الراحل (الفريد ميخائل) رئيس قسم الدمى في المعهد، فضلاً عن الخبرة التي اكتسبها في صناعة الدمى على يد الفنان المصري الراحل (د. ناجي شاكر) مصمم ومبدع دمى اوبريت (الليلة الكبيرة)، وبهذا كان للتجربة التدريبية التي عاد بها طارق الربيعي من القاهرة دوراً كبيراً في اثره ذاتقته البصرية والسمعية على مستوى تقنيات الاخراج والاعداد والتأليف، فضلاً عن الخبرة في صناعة وتحريك دمى الماريونيت والذي نتج عنه تأسيس مسرح جوال سمي ب (مسرح بغداد للتراث) والذي قدّم العديد من العروض المسرحية كان اغلبها دمى الماريونيت الى جانب دمى القفاز وكان من بين العروض المسرحية التي قدّمها الثنائي عرض اوبريت (الليلة الكبيرة) على قاعة الشعب الكائنة في باب المعظم في بغداد... سيما وانه تدرّب عليها في القاهرة.

هذا ما ورد في ملف السيرة الذاتية الذي سلمني اياه رائد فنون الدمى في العراق الفنان طارق الربيعي والذي سأعرضه على حضراتكم بوصفه وثيقة في ملاحق كتابي الذي سيصدر قريباً والذي يتناول تاريخ فنون الدمى في العراق، علماً ان قاعة الشعب جمعت في فضاءها كثيراً من الأنشطة الثقافية والفنية ومنها ما قدّمته

فرقة (الدمى الصينية الشعبية) التي زارت بغداد آنذاك، وبهذا قدّم طارق الربيعي عرضاً مسرحياً بالدمى لمتلقين من الكبار ولم يكتفي بذلك، بل بادر عبر فرقته المسرحية الجواله بتقديم عروض مسرحية اتسمت بطابعها الفلكلوري العراقي الخاص ومنها العروض المسرحية التي قدّمت بالديكة العربية والديكة الكردية للمتلقين من الكبار وكانت الدمى فيها من نوع الماريونيت ايضاً ومن تصميمه وتنفيذه، الى جانب منوعات العرائس التي تتمثل بفرقة موسيقية من دمى الماريونيت مكونة من مطرب وعازفين مختلف الآلات الموسيقية ومنها عازف الناي والطبلة والقانون، اما (اوبريت السعادة) الذي قدّم ضمن برنامج (مسرح بغداد للتراث) بوصفه مسرحاً تلفزيونياً، فقد كانت دماه ماريونيت من تصميم وتنفيذ الفنان التشكيلي الراحل الدكتور (ناجي شاكر).

ولكن لسوء الحظ لم يتمكن الفنان الراحل طارق الربيعي من الاحتفاظ بكل هذه الدمى، إذ تعرض اكثرها للتلف والضياع بسبب ظروف التهجير التي تعرضت لها عائلته بعد أحداث عام ٢٠٠٣، فضلاً عن الاحداث المروعة التي تعرضت لها المؤسسات الرسمية المعنية بالشأن الثقافي - ومنها مبنى تلفزيون العراق - في ثمانينات القرن الماضي من قصف وهجوم صاروخي ابان الحرب العراقية الايرانية، وما لحقتها من احداث سياسية ساخنة، ساهمت في تلف وضياع العديد من المقتنيات فضلاً عن الارشيف.

اخيراً فان مقالي هذا وما سيليه من سعي توثيقي، ما هو الا ديدن كبير احاول ان اردّه رويداً رويداً لمن لم يحظوا بالاهتمام الذي يليق بمنجزهم الكبير اعلامياً، بل لم يحظوا بالفرص الكبيرة التي اتاحت لأمتهم في البلدان العربية، ولعل ذنبهم الوحيد في ذلك هو انغماسهم وحبهم لهذا الفن وتلقائيتهم فيه بعيداً عن ادعاءات الشهرة، وان مهمتي بل مسؤوليتي تجاه هذا الفن تجعلني ابحت وابتحث لأجد المعلومة وارفع الغبار عنها لتغدو شاهد تاريخي على عصرها، وما زال البحث جاري رغم وعورته.

قرقوز.. كيف كانت البداية؟

ساهرة رشيد

غيب الموت الفنان الرائد طارق الربيعي، الشهير ب (أبو شنيور) و الي أسس مع زميله الراحل انور حيران لفن الماريوننت في العراق، فكونا فرقة مسرح بغداد الجواله للعرائس التي قدمت عروضها في المدارس والمنتزهات وساحات الترفيه بأحاء العراق. ولد الربيعي في عام ١٩٣٧. وبدأ العمل في الإذاعة ثم التلفزيون فقدم العديد من برامج الترفيه والمسابقات، وكتب انطلاقاً التلفزيون العراقي في ١٩٥٦، وقدم مع زميله أنور حيران برنامج «قره قوز» الذي استمر عرضه في الخمسينات والستينات والسبعينات، وأكسبه شهرة كبيرة عبر شخصية «أبو شنيور»، والراحل (أبو زرور) أنور حيران. وهما من ثنائيات الفن التي اشتهرت في تلفزيون بغداد وابطال (القرقوز) الذين احبهم الجمهور البغدادي والجمهور العراقي عموماً، هما الفنانان طارق الربيعي والراحل انور حيران. فهما اهم ثنائيي قديمي برنامج الاطفال (قرقوز) وهو عبارة عن لعبة دمي

تمسك بالاصابع يتلاعب بهما الربيعي وحيران من اجل تفسير وتمثيل حكايتهم البغدادية للناس.. فبالاضافة الى الجانب الكوميدي في لغتهم وحركتهما، كان البرنامج من اهم البرامج النقدية للسلوك البشري في المجتمع الى جانب النقد اللاذع لمؤسسات الدولة من خلال الحكايات الجميلة التي يحكيها البرنامج ليربطها بواقعة معينة او خطوة تقدم عليها الحكومة. كانت بداية لقاء الثنائي البغدادي الناجح ضمن ركن الهواة مع مؤسس البرنامج المرحوم (كمال عاكف) فرغم انهام ظهرا معا في العام ١٩٥٥ اي قبل الهواة بسنتين ضمن برنامج الركن العمالي.. كذلك شارك مع القرقوز المصري في العام ١٩٥٦ الذي كان يعرض احيانا في (لونابارك) قرب سينما النصر لكنهما كانت مقرات بسيطة.. لا تترقي لبرنامجها القرقوز الشهير فيما بعد. اما فكرة البرنامج فقد جاءت بعد انسحاب الفنان عبد الستار عبد الرزاق الذي كان يقدم القرقوز قبل طارق الربيعي وانور حيران.. حيث اتفقا على اعادة الحياة الى البرنامج وتقديمه مجددا وبحلة جديدة تختلف عن السابق. وقدمت اول حلقة جديدة

منه ظهر فيها الربيعي وحيران في العام ١٩٥٧ وقد تزامن تقديم البرنامج مع حملة اسبوع النظافة الذي اقامته آنذاك امانة العاصمة. قام هذا الثنائي بدراسة مسرح العرائس في القاهرة ضمن بعثة حكومية في العام ١٩٦٧ درس فيها مسرح الدمى في التلفزيون المصري.. كما تدرجا على اوبريت (الليلة الكبيرة) باشراف صلاح السقا واطلعا على اوبريت السعادة وهي من الاعمال المشابهة للقرقوز. كان طارق الربيعي وانور حيران يستوحيان افكارهما في برنامج القرقوز من عدة اتجاهات. اما عبر الرسائل التي تصل الى البرنامج من قبل المواطنين او من خلال متابعة الصحافة المحلية او من خلال المعانة الشخصية لهما واحتكاكهما مع الناس والتعرف على همومهم وتطلعاتهم..

بالاضافة الى برنامج القرقوز فقد قدم الثنائي الربيعي وحيران برامج اخرى مثل برنامج المسابقات وكانا يستقطبان فيه الاطفال في بغداد والمحافظات على نحو كبير نتيجة لاسلوبهما الشيق في الحديث والمحاورة واللعب بالدمى

بالاصابع بحيث جعلتا حتى الكبار يتابعون برامجهما وهذا النجاح الكبير للثنائي (الربيعي

وحيران) لم يحققه غيرهما في برامج القرقوز. كما قدما برنامج (رحلة المعرفة) وبرنامج اخر بعنوان (لقاء الاصدقاء) وغيرهما من البرامج الشيقة. وهي برامج احبها الناس في بغداد، بحكم قرب الناس من هذا الثنائي الذي كان يذهب البعض عند خروجها من مبنى الاذاعة والتلفزيون لكي يتحدث اليهما او التقاط الصور معهما لاسيما بالنسبة للاطفال.. كان الناس يتابعون برامجهما بشغف قل نظيره.. وبرنامج (الربيعي وحيران) لم تقتصر على الاطفال حسب بل قدما برامج للكبار ايضا منها البرنامج الناجح (الثلاثي الضاحك) اخراج المرحوم مهدي الصفار. وقد كان الثنائي المرح كثيرا ما يتعرض الى المواقف الحرجة في برنامج القرقوز لان البث كان حيا على الهواء. ويذكر ان الفنان المصري محمود شكوكو عندما زار العراق في العام ١٩٦٦ مع مجموعة من الفنانين بينهم عبد الحليم حافظ وهدى سلطان وبلبلية وغيرهم قد التقى الثنائي طارق الربيعي وانور حيران وقدما امامه مجموعة من مشاهد القرقوز فعبر عن اعجابهم وفرحهم بقابليتهم وموهبتهم والتقط معهم صورة تذكارية.

قرقوز من اشهر برامج التلفزيون في بدايته

محسن حسين

يرى الكثيرون من ابناء جيلنا ان اكثر برامج التلفزيون العراقي متعة في السنوات الاولى لتاسيسه في ١ ماي ١٩٥٦ برنامج الرياضة في اسبوع مؤيد البصري وبرنامج العلم للجميع للمرحوم كامل الدباغ وبرنامج قرقوز الذي كان يقدمه في البداية ولده سنة ستوري (عبد الستار عبد الرزاق) ثم تسلمه الفنانان طارق الربيعي وانور حيران. وقد عرفت ستوري عام ١٩٥٦ قبل ان يترك التلفزيون ويلتحق بالجيش ليكون ضابطا وصل الى رتبة عالية قبل ان يتقاعد.

في تلك السنوات وانا في بداية عملي الصحفي ابحث عن كل شيء جديد شجعت ستوري واسمه الحقيقي [عبد الستار عبد الرزاق] على ممارسة هذا الفن المتع للاطفال في وقت لم يكن فيه مثل هذا الكم الهائل من افلام الكارتون والبرامج المسلية للاطفال بل قنوات مستقلة لبرامج الاطفال. وكنت اتردد على منزله مع مجموعة من الفنانين والصحفيين والفضل في ذلك للسيدة والدته (مهديا) واذكر منهم رضا علي واحمد الخليل الذي تزوجت شقيقته من عبد الوهاب شقيق عبد الستار. وكان والده عبد الرزاق مجيد مهندس كهرباء يعمل في ذلك الوقت بتاسيس الكهرباء في القصر الملكي الذي كان تحت الانشاء ولم يستخدم الا في عهد الرئيس عبد السلام عارف عام ١٩٦٣ ليكون القصر الجمهوري وكان عبد الستار نجم التلفزيون وله الكثير من المعجبين والمعجبات. وحسب علمي فانه مازال في بغداد لكن كل عائلته هاجرت الى امريكا منذ خمسينات وستينات القرن الماضي.

في تلك الفترة تعرفت ايضا على فكري بشير وهو الاخ الاصغر للموسيقي الشهير منير بشير وكان فكري يجيد تقليد الاصوات النسائية ويذكر فكري ان عبد الستار كان يقوم بدور قرقوز وكنو ويقوم هو بادوار زنوبة، خنفوس. مجودة ويقبض ويعزو فكري سبب تركهما البرنامج لان عبد الستار دخل الكلية العسكرية وسافر هو بزماله دراسية خارج

الوطن، وبعد ستوري برز شابان اخران ليقدما لمدة ١٥ عاما برنامج قرقوز وهما طارق الربيعي وانور حيران وكانت البداية عام ١٩٥٧ وقد تزامن تقديم الحلقة الاولى من البرنامج مع اسبوع النظافة في بغداد الذي اقامته آنذاك امانة العاصمة وكان برنامجهما مثل برنامج ستوري يقدم في الساعة السادسة عصرا من كل يوم خميس. ولا بد ان نذكر ان ستار وطارق وانور كانوا متأثرين ببرامج قرقوز المصرية للفنان شكوكو ثم في وقت لاحق الدمى المتحركة في مصر وبرزها [الليلة الكبيرة] للفنان صلاح جاهين..

وقد اتبعت لهذا الثنائي دراسة مسرحية العرائس في القاهرة ضمن بعثة حكومية في العام ١٩٦٧ درس فيها مسرح الدمى في التلفزيون المصري.. كما تدرجا على اوبريت (الليلة الكبيرة) للفنان صلاح جاهين واطلعا على اوبريت السعادة وهي من الاعمال المشابهة للقرقوز. واشتهرت شخصيات الدمى المتحركة العراقية مثل ابو شنيور وغيره الى ان جاء وقت برامج الكارتون فقام الربيعي بوضع كل الدمى المحبوبة بصندوق ورماه في دجلة مودعا العصر الذهبي للقرقوز.

طارق الربيعي كان يحب عمله بكل اخلاص وهو يقوم بتحريك ثلاث شخصيات من الدمى في حركات راقصة مع تأدية كل الاصوات التراثية التي كان يجيدها ويتمكن عال وبكل انواعها والوانها ومقاماتها.

ويروي صديقنا خالد جبر صاحب برنامج الرسم الصغير ان انور حيران الذي غادر هذه الحياة مبكرا ترك طارق الربيعي وحيدا بعد ان اودع رموزه وشخصياته الشعبية من الدمى في صندوق خشبي مغلق ليرميها في نهر دجلة كاعلان عن نهاية حقبة (القرقوز) بدعوى ان الدمى شعبية لا تتناسب مع عقلية وثقافة الطفل المعاصر. كما روى لنا خالد جبر انه في عام ٢٠٠١ التقى بالصدفة مع الفنان طارق الربيعي الذي قبله واحتضنه وبكى وقال: ابا وليد لقد اذلني الزمن فقد تركني الفن وتركته وتحولت الآن الى عامل في معمل جيس ومد يده لاجدها مخدشة ومحروقة.





طارق الربيعي: "قره قوز" كان انطلاقتي الأولى نحو الشهرة

علي ناصر الكناني

انتباهه في تعلم طريقة تحريك الدمى، والعمل مع حيران معا في الإذاعة ضمن برنامج إذاعي اسمه ركن العمال وانضم إليهم كذلك المطرب عبد الصاحب شراد الذي كان في بدايات مسيرته الفنية آنذاك. أبو شنيور وزنوبة وكنو شخصيات محببة للأطفال حرص الربيعي وحيران على تقديم شخصيات جديدة ومحبة للأطفال باللهجة الشعبية الدارجة مثل: "أبو شنيور وكنو وأبو دحام وعواد الأخرس" وغيرها من الشخصيات التي كانت على هيئة دمي تصنع من الخشب والقماش وتلبس باليد وتحرك بالتناغم مع الحوار، ولعل من الطريف هنا أن نذكر أن دور زنوبة قد أدته موظفة تعمل كاتبة طابعة في الإذاعة اسمها اسبرنس مقال أجر قدره دينار واحد عن كل حلقة، إذ كان مجموع الأجور للبرنامج هو ١٥ ديناراً.

تمثيلات تلفزيونية وعمل سينمائي واحد

أعمال تمثيلية أخرى شارك فيها الفنان طارق الربيعي في التلفزيون كان منها تمثيلية "ست كراسي" مع الفنان حمودي الحارثي وآخرين، وكذلك تمثيلية "مجنون ليلي في الريف" مع الفنان سلمان الجوهر و"سفينته الحكايات" مع سامي ققطان و"ماكو جارة" و"كن نموت" وغيرها.. أما في السينما فكانت لديه مشاركة واحدة فقط هي في فيلم الجابي مع الفنان أسعد عبد الرزاق ورأسم الجميلي وآخرين، وكانت هذه الأعمال من بطولة ومشاركة فنانين كبار، ويقف وراءها مبدعون عمالقة في الإخراج، من بينها برنامج "قره قوز" الذي تعاقب مخرجون عدة على إخراجه على مدى سنوات طوال، كإبراهيم الديواني وعبد الهادي مبارك وخالد المحارب وكمال عاكف وخليل شوقي وخالد عباس أمين وناظم الصفار ومحمد يوسف الجنابي وحمودي الحارثي وغيرهم، كما أن برنامج "قره قوز" تواصل عرضه على مدى عقود طويلة حتى تموز عام ٢٠٠٠ إثر وفاة الشخصية المحورية فيه الفنان أنور حيران، واستمر تقديمه على المسارح المتنقلة ورياض الأطفال والمناسبات والاحتفالات الخاصة والعامة حتى عام ٢٠٠٧.

أحداث ومواقف خلّدتها الذاكرة

لا شك أنه هناك الكثير من الأحداث والمواقف والوقائع التي عاصرها الربيعي وعاش تفاصيلها وبقيت راسخة في ذاكرته رغم مرور زمن طويل على حدوثها وما وضعنا في حرج الاختيار كون سردها وذكرها ضمن هذه السطور قد يحتاج حتماً إلى مساحة أكبر، ولذلك سنعرج على بعضها بشكل سريع ومنها ذهب الربيعي وزميله حيران إلى القاهرة للاشتراك في دورة أقامها معهد التلفزيون العربي هناك عن مسرح العرائس الماريونيت التي أشرف عليها المخرج المصري المعروف صلاح السقا، الذي قدم العمل الاستعراضى والمسرحي الكبير "الليلة الكبيرة" ثم نقل الربيعي تجربة مسرح الدمى إلى تلفزيون بغداد وسط إعجاب الجميع، وكذلك لقاءه الفنان المصري محمود شكوكو في بغداد وتعاونهما، ومع الفنان علي محمود المصري لتقديم فواصل تمثيلية وغنائية وقد عمل وقتها المنولوجست شكوكو في ملهى "ليالي الصفا" في الصالحية ببغداد.

ولعل وقوفه كعريف حفل في احتفال أقيم بمناسبة عيد العمال العالمي على قاعة الشعب وتقديمه للزعيم الراحل عبد الكريم قاسم لاعتلاء منصة الخطابة لإلقاء كلمة ويتذكر كيف صافحه الزعيم بقوة وهو يهز يده فشعر بفرح غامر لا يوصف، كما يقول.

مسك الختام

وأنا الملم أوراقي وأهم بالمغادرة مودعاً فناننا المبدع أبا زياد قال: أتمنى شيئين أن يتحققا لي وأنا كما تراني أرقد على فراش المرض وهما إعادة إحياء تجربة مسرح العرائس والدمى الماريونيت من قبل جهة رسمية كوزارة الثقافة، لأنه يخدم الطفولة وتوعيتها في شتى مجالات الحياة، والثاني هو أن يُنصّف المبدعون الرواد في شتى اختصاصاتهم وتوجهاتهم من قبل المعنيين، والاهتمام بهم ومعاونتهم في تجاوز صعوباتهم وإبقائهم من الإهمال والنسيان قبل ضياع الفرصة وفوات الأوان.

*من أرشيف الصحفي علي ناصر الكناني

قبل أكثر من نصف قرن من الزمن بدأ الفنان طارق احمد علي المعروف بـ (طارق الربيعي، تولد عام ١٩٣٧) مشواره الفني الطويل ومسيرته الإبداعية الحافلة بالتميز متألقاً في أداء الأدوار الكوميديّة في مجال التمثيل وتقديم الفعاليات الترفيهية والغنائية المتنوعة عبر الإذاعة والتلفزيون. ويعتد الربيعي من جيل الرعيل الأول الذين واكبوا البدايات الأولى للبيت التلفزيوني المباشر عام ١٩٥٦ يوم كان بالأسود والأبيض، وبالتزامن مع تلك البدايات للتلفزيون اتفق مع زميله الفنان الراحل أنور حيران على مواصلة تقديم برنامج "قره قوز" بعد أن غادره مقدّمه الأول عبد الستار عبد الرزاق لتطوعه في الجيش بصفة ضابط.

مشاكسة طفولية وراء أول أدواره

تجاوز الربيعي الثمانين عاماً من العمر لكن الحنين ما يزال يدفعه إلى مسقط رأسه "الكرادة الشرقية" التي ترعرع وتربى فيها، في البدايات الأولى لمسيرته الطويلة وأثناء دراسته الابتدائية شاكسه أحد أصدقائه مازحاً، طالباً منه المشاركة في أداء دور امرأة في تمثيلية أطلقوا عليها اسم "أم عباس" في حفل خاص أقيم في منطقتهم عام ١٩٤٨ وصادف أن رآه أحد معارفه فسارع بإخبار والده الذي كان يعمل سائقاً حكومياً في مجلس الإعمار آنذاك، فعاد به إلى البيت وحذره من تكرار أداء دور امرأة مستقبلاً.

(قره قوز) محطة الانطلاق نحو الشهرة يستنرد الفنان طارق الربيعي حديثه الشيق والمتعمق لنبذة عنه عبر شريط الذكريات رحلة الانطلاق نحو الشهرة عبر البرنامج التلفزيوني "قره قوز" وكيف التقى زميله وصديق عمره الفنان الراحل أنور حيران عام ١٩٥٥، في المهرجان الفني والاستعراضى الذي أقامته آنذاك إحدى الفرق الفنية المصرية على حدائق لوناياك في شارع السعدون ببغداد، حيث قدمت هذه الفرقة من بين عروضها مشاهد تمثيلية بألعاب الدمى المتحركة، ف جذب ذلك

طارق الربيعي في الذاكرة

خالد جبر



وهو يقوم باعداد تقرير عن الذكرى (٥٦) لتأسيس التلفزيون العراقي، وفي داخل قناة العراقية، فاجاني الزميل سعدي غزالة بسؤال: عن افضل برنامج كان يعرض في بواكير التلفزيون العراقي، فوجدت نفسي اقول بلا تردد انه برنامج (قرقوز).. فهو اضافة لبرنامج الرياضة في اسبوع للزميل العزيز مؤيد البدري وبرنامج العلم للجميع للاستاذ المرحوم كامل الدباغ قد يكون الفسحة الاكثر تفردا وامتعا في تاريخ التلفزيون العراقي الطويل.. ولن يقلل من اهميته جهل الجيل الجديد به وبالجهود التي كانت تبذل في سبيل اخراجه..

فبرنامج (قرقوز) من اعداد وتقديم الفنان طارق الربيعي والفنان انور حيران وكان يقدم الساعة السادسة عصرا من كل يوم خميس عبر تلفزيون بغداد في اوائل الستينيات وتحديدا في العام ١٩٦٠، وفقرات البرنامج كانت ممتعة وشيقة حيث نرى الدمى المتحركة الراقصة وشخصية ابو شنيور ضمن اطار مبدع خلاب يهدف الى لقاء الضوء على مشاكل وجزئيات الحياة اليومية البغدادية من خلال كلمات الاغاني الساخرة وتحريك الدمى والموسيقى والغناء بصوت انور حيران والفنان الراحل ابو زياد الفنان طارق الربيعي، وكان يشغل مساحة واسعة من اهتماماتنا كنا صغارا ونحن نتابع اسبوعيا هذا البرنامج الناجح من مقهى الطرف. في عام ١٩٨٥ عندما التحقت بالتلفزيون لتقديم برنامج الرسم الصغير التقيت مع طارق الربيعي وانور حيران ولكن ليس من خلال البرنامج الشهير (قرقوز) فقد اختلفت من الشاشة كليا، وتم الاستعاضة عنه ببرنامج عن الاطفال خلال الفترة الصباحية والعطلة المدرسية والذي كان باشراف المخرج المرحوم طارق الحمداني، وازداد تعلقني بالفنان طارق الربيعي حيث وجدته فنانا رائعا يحب عمله بكل اخلاص وتكررت لقاءاتي معه في بعض الحفلات التي تقام للاطفال، وما زلت اذكر مشاهدته وهو يقوم بتحريك ثلاث شخصيات من الدمى في حركات راقصة مع تادية كل الاصوات التراثية التي كان يجيدها وبتمكن عال وبكل انواعها والوانها ومقاماتها حتى تفوق بطبقة صوته على المطرب الكبير الراحل ناظم الغزالي مما اثار اعجاب وتصفيق الحضور.

استمرت علاقتي بهذا الفنان الكبير ورفيق دربه العزيز انور حيران الذي غادر هذه الحياة ليترك طارق الربيعي وحيدا بعد ان اودع رموزه وشخصياته الشعبية من الدمى في صندوق خشبي معلق ليرميها في نهر دجلة كاعلان عن نهاية حقبة (قرقوز) وهكذا اسدل الستار عن البرنامج الاكثر شهرة والذي استمر لخمسة عشر عاما بدعوى ان الدمى شعبية لا تتناسب مع عقلية وثقافة الطفل المعاصر..

في عام ٢٠٠١ التقيت بالصدفة مع الفنان طارق الربيعي وقبلني واحتضنني وبكى وقال: ابا وليد لقد انلني الزمن فقد تركني الفن وتركته وتحولت الآن الى عامل في معمل جيس ومد يديه لاجدها مخدشة ومحرقة وهي تلك الايدي والأنامل التي كانت تقدم اروغ الاعمال التي نشأ عليها جيل كامل من الاطفال ودرست فن تحريك الدمى في فرقة صلاح جاهين وسيد مكاوي اللذين قدما اوبريت الليلة الكبيرة.. هكذا ودعني وعينيه تملؤها الدموع على الايام التي مضت من عمره وحزنت كثيرا على هذا الفنان المبدع والذي انقطعت اخباره عني منذ ذلك الوقت ولحد الآن.

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

